٧

الثورة الروسية ١٩١٧

obeikandl.com

obeikandl.com

الحوادث التي سبقت الثورة الروسية

هزت حملة نابليون عام ١٨١٢ روسيا هزة عنيفة.. تاركة إياها مثخنة بالجراح.. فأخذ القيصر (ألكسندر الأول)[١] علي عاتقه إعادة تنظيم بلاده.. وأصدر عددا من القوانين ألغت الأحكام الزجرية التي كانت مطبقة علي اليهود منذ عام ١٧٧٢ والتي كانت تحدد إقامتهم في أمكنة معينة.. وبذل القيصر جهداً لحمل اليهود علي العمل في الزراعة وغيرها.. وتشجيعهم علي الامتزاج الكامل بالمجتمع الروسي.

عام ١٨٥٢ مات ألكسندر الأوّل.. فخلفه على العرش نيقولا الأول.. فلم ينظر بعين الرضا إلى التغلغل السريع لليهود في الاقتصاد الروسي.. ولم ترتح حكومته إلى الإصرار الذي أبداه اليهود للحفاظ على تراثهم ولغتهم الخاصين وزيهم المميّز.

وهكذا.. وفي محاولة منه لإذابة العنصر اليهوديّ في المجتمع الروسيّ.. أصدر نيقولا الأول عام ١٨٣٤ قوانين تجبرُ اليهود على إرسال أولادهم إلى المدارس الحكومية.. وذلك لمحو معاناة الاضطهاد الديني التي كانوا يشربون إياها في الطفولة.

غير أن النتيجة جاءت عكس المتوقع.. لأن التعليم أصبح إلزاميا لأطفال اليهود.. ولم يكن كذلك بالنسبة لأطفال الروس من غير اليهود.. مما أدّى إلي جعل اليهود الفئة الأكثر ثقافة في روسيا!

وارتقى عرش روسيا القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٥٥ وكان هو الذي وصفه بنجامين دزرائيلي بـ (أكثر أمراء روسيا تسامحاً).. وقد كرس ألكسندر حياته لتحسين الأوضاع الحياتية للفلاحين والطبقات الكادحة واليهود.. وقد حرّر في عام ١٨٦١ ٢٣,٠٠٠,٠٠٠ عبد.. وقد كانوا عبيداً بكل ما في هذه الكلمة من معنى.. وكانت عمليات بيع الأراضي وشرائها تشملهم.. فيباعون من سيد إلى سيد.

ودخل العديد من اليهود.. الجامعات.. ولكنهم بعد التخرج كانوا يواجهون مصاعب وعقبات قاسية.. ولإزالة هذا الإجحاف.. أصدر القيصر أوامره بقبول هؤلاء اليهود في المناصب الحكومية.. والسماح لهم بالسكن أينما شاءوا في الأراضي الروسية.. وما إن

(١) ترجمة خاصة في فصل رجال ونساء على رقعة الشطرنج.

حل عام ١٨٧٩ حتى كان من اليهود أطباء وممرضون وأطباء أسنان ورجال أعمال ومهن.. وكان يسمح لهم بالعمل والسكن في أي مكان من روسيا.

ولكن القادة اليهود لحركة الثورة العالمية.. كانوا مصممين على الاستمرار في التحضير للثورة في العالم.. وكانت جماعاتهم الإرهابية ترتكب المجزرة تلو الأخرى.. وعملوا على كسب تأييد الرافضين من المثقفين في روسيا.. وعلى زرع فكرة التمرد والثورة في عقول الجماهير العاملة.. وقاموا بأول محاولة لاغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٦٦ ونجا القيصر من محاولتين لقتله بأعجوبة.. وتمكن المتآمرون أخيراً في المحاولة الثالثة من اغتياله عام ١٨٨١ في بيت يهودية تدعى هسيا هلفمان.

وبينما كانت القوات الثورية تحرج الحكومة الروسية في الداخل بكل الوسائل الممكنة.. بإثارة المشاغبات والقيام بالاغتيالات السياسية.. كانت القوى الخفية من مراكزها في إنجلترا وسويسرا والولايات المتحدة تحاول من جهتها توريط روسيا في حرب مع بريطانيا.. ففي مثل هذه الحرب لن تستطيع أي من الإمبراطوريتين إحراز أي مكاسب تذكر.. وتكون النتيجة لمثل هذه الحرب إضعاف كلا البلدين مادياً.. وتركهما فريسة سهلة للأعمال الثورية التالية.

في عدد أكتوبر ١٨٨١ من مجلة القرن التاسع عشر.. كتب البروفيسور غولدوين سميث أستاذ التاريخ الحديث في جامعة أركسفورد يقول (عندما كنت في إنجلترا لآخر مرة.. كنا على حافة الحرب مع روسيا.. وكان مقدراً لهذه الحرب أن تورط الإمبراطورية بأكملها.. وكانت المصالح اليهودية في أوروبا.. وأداتها الرئيسية صحافة فيينا.. تسعى بكل جهدها لدفعنا إلى المعركة).

كانت حادثة اغتيال (البابا الصغير) للروس (قيصر روسيا) السبب في موجة واسعة من الغضب.. فجّرت أعمال العنف ضد السكان اليهود في العديد من الأراضي الروسية.. ومررت الحكومة الروسية (قوانين مايو) القاسية إرضاء لوجهات نظر الرسميين الروس الكبار.. الذين قالوا (إذا كانت سياسة التسامح التي اتبعها ألكسندر الثاني لم تكن كافية لإرضاء اليهود ومصالحتهم.. فلن يرضيهم شيء بعد

الآن إلا أن يبسطوا سيطرتهم المطلقة علي روسيا).. وهكذا وللمرة الثانية راح الشعب اليهودي بأسره ضحية الجرائم التي يرتكبها الذين نصبوا أنفسهم زعماء له.

في الثالث والعشرين من مايو عام ١٨٨٢ طلب وفد يهودي برئاسة البارون جينزبيرغ مقابلة القيصر ألكسندر الثالث للاحتجاج على القوانين المذكورة.. ووعد القيصر بإجراء تحقيق شامل في القضية بأجمعها.. وخاصة فيما يتعلق بالأزمة بين اليهود وغير اليهود من سكان الإمبراطورية الروسية.. وفي الثالث من سبتمبر أصدر البيان الآتي (منذ مدة والحكومة تولي بالغ العناية لليهود ومشاكلهم.. مع الانتباه للأوضاع المحزنة للسكان المسيحيين الناشئة عن الطرق التي يستعملها اليهود في قضايا العمل والمال.. خلال العشرين سنة الماضية لم يكتف اليهود بالسيطرة على كل التجارات والأعمال بفروعها.. بل سيطروا أيضاً على أجزاء كبيرة من الأراضي.. إما بشرائها أو بزراعتها.. وباستثناء القليل.. كرس اليهود جهودهم كمجموع.. ليس لإثراء الدولة ولفائدتها.. بل لخداع الشعب الروسيّ بحيلهم الملتوية.. وقد قاسي الفقراء بنوع خاص من هذا.. فتصاعدت الاحتجاجات من الرعايا.. وتجلى ذلك في أعمال العنف التي قام بها الشعب ضد اليهود.. وقد سعت الحكومة لتخليص اليهود من الاضطهاد والمذابح.. لكن لا يسعها تحت ضغط ملح إلا أن تتبني القوانين القاسية.. لتخليص الشعب من اضطهاد اليهود وأعمالهم الشريرة).

إن إقرار قوانين مايو لم يكن فقط انتقاماً لمقتل القيصر ألكسندر الثاني.. وإنما كان نتيجة للتحذيرات المتوالية التي وجهها الاقتصاديون الروس للحكومة.. بهدف الحد من النشاطات المالية غير المشروعة التي يمارسها اليهود.. والتي تهدد الاقتصاد الروسي بالخراب.. مع أنهم لا يشكلون سوى نسبة ٤,٢٪ من سكان الإمبراطورية.

❖❖❖

كان اليهوديّ الألماني (تيودور هيرتزل)[1] يبث الشكوك عند اليهود.. عندما يقوم بإعلامهم عن سياسة كارل ريتر اللاسامية.. وكيف أنّها تنتشر بسرعة بين الشعب

(١) ترجمة خاصة في فصل رجال ونساء على رقعة الشطرنج.

الألماني.. واقترح هيرتتزل إقامة منظمة يهودية تدعى (حركة العودة إلي إسرائيل) Jewish Back to Israel Movement باسم المحافظين من اليهود.. وكانت تلك بداية الحركة الصهيونية.

❖❖❖

بعدما أصدر القيصر ألكسندر الثالث حكمه بلوم اليهود.. وإلقاء المسؤولية على عاتقهم في حالة الفوضى والخراب الاقتصادي في الإمبراطورية.. قامت قيادات الحركة الثورية بإنشاء (الحزب الاشتراكي الثوري).. وعهد بتنظيم هذا الحزب إلى رجل قاس لا يعرف الرحمة أسمه جيرشوني.. وكان تنظيم (القطاعات المقاتلة) من نصيب خياط يُدعى (يفنوا أرنف).. وشدد قواد الحركة الثورية على ضرورة استجلاب غير اليهود إليها.

وبالإضافة إلى التسبب بالاضطرابات العمالية وخلق الأوضاع السيئة بين طبقات المجتمع الروسي.. كانت الأحزاب الثورية فيما بين ١٩٠٠ و ١٩٠٦ تثير المتاعب الدينية.. حتى أوصلتها إلى درجة الغليان.. وكانت القمة التي وصلت إليها تلك المتاعب حوادث القتل والاغتيال بالجملة.. وحدث الانفجار بشكل ثورة عام ١٩٠٥.

كان من الشخصيات الرسمية الذين قام باغتيالهم قسم الإرهاب في الحزب الثوري.. بوغولبيوف وزير التربية عام ١٩٠١ وجاءت هذا الحادث تسجيلا لغضب اليهود على السياسة التربوية التي تضمنتها قوانين مايو.. فقد حددت عدد اليهود الذي يسمح لهم بالانتساب إلى مدارس الدولة وجامعاتها.. بنسبة لا تزيد على نسبة السكان اليهود إلى تعداد الشعب الروسيّ كله.

وفي العام التالي (١٩٠٢) اغتيل وزير الداخلية سيباغين.. تأكيداً لغضب اليهود على سياسة قوانين مايو.. والتي قضت بمنع اليهود من السكن خارج أحيائهم ومجمعاتهم الخاصة.

عام ١٩٠٣ اغتيل بوغدانوفيتش حاكم يوفا.. وفي عام ١٩٠٤ قتل رئيس الوزراء فيشيليف فون بيلف.. وعام ١٩٠٥ انفجرت أول ثورة عامة في روسيا.. واغتيل خال

القيصر الدوق سرجيوس في ١٧ فبراير.. وفي ديسمبر ١٩٠٥ اضطهد الجنرال دوبراسو الثوريين.. ولكنهم اغتالوه في العام ١٩٠٦.

بعدما ألقى القيصر اللوم على عاتق اليهود واتهمهم بالتسبب بالحالة المتردية في روسيا.. تلقى البارون جينزبيرغ تعليمات بالعمل على تفتيت الإمبراطورية الروسية.. وكان من ضمن الخطة خلق الفوضى والاضطراب بين صفوف الجيش الروسي في الشرق الأقصى.. عن طريق تدمير خطوط المواصلات في سيبيريا.. وقد أدى ذلك إلى إيقاف الإمدادات والمعونات عن الجيش البري والبحرية الروسية.

ومن طرف أخر.. أمر أحد ضباط البحرية الروس سفنه.. بإطلاق النار على أسطول من سفن الصيد البريطانية التي كانت في بحر الشمال.. وكان رد الفعل الشعبي في بريطانيا عنيفاً.. وقد تطوع بعد هذه الحادثة عدد كبير من ضباط البحرية البريطانية ومن ملاحي السفن التجارية البريطانية لتقديم خدماتهم لليابان.

بخلاف أنّ أصحاب المصارف العالميين فرضوا عقوبات اقتصادية على الإمبراطورية الروسية.. وأوصلوها حتى الإفلاس تقريباً.. وضربوا حظراً على التجارة والمبادلات الروسية.. وعام ١٩٠٤ وبعد توريط روسيا في الحرب مع اليابان.. نكثت مؤسسة (روتشيلد) بوعودها.. ورفضت إمداد روسيا بالمساعدات المالية.. بينما قامت شركة كوهن ـ لوب وشركائهما في نيويورك بإمداد اليابان بكل القروض التي طلبتها.

جاء في الموسوعة البريطانية طبعة عام ١٩٤٧ في المجلد الثاني الصفحة ٧٦ ما يلي (وكان الوزير الروسي يسعى بكل جهده للحصول على المال.. ودخلت الحكومة الروسية في مفاوضات مع دار (روتشيلد) للحصول على قرض كبير.. ووقع الطرفان اتفاقاً مبدئياً.. إلا أن دار (روتشيلد) أبلغت وزير المال الروسى أنه ما لم تتوقف أعمال الاضطهاد ضد اليهود.. فإن الدار ستكون مُضطرة للانسحاب من العقد.. وقد كانت الحاجة الملحة للخزينة الروسية واحدة من الأسباب التي دفعت للتحالف الفرنسي الروسي.. تماماً كما كان إنهاء معاهدة بسمارك للحياد المشترك).

وكانت مؤسسة يعقوب شيف في نيويورك منذ العام ١٨٩٧ تموّل حركات الإرهابيين في روسيا.. وعام ١٩٠٤ ساعد في تمويل الثورة التي نشبت في العام التالي. وكما ساعد في تنظيم حملة عالمية لتمويل ثورة سنة ١٩١٧ التي أعطته وشركاءه أول فرصة لوضع نظرياتهم الديكتاتورية موضع التنفيذ.

❖❖❖

لينين

اشترك ألكسندر أوليانوف في المؤامرة التي هدفت إلى اغتيال القيصر ألكسندر الثالث.. وقد فشلت تلك المحاولة.. وقبض على ألكسندر أوليانوف وحوكم وحكم عليه بالموت.. وكان هذا هو السبب في أن أخاه فلاديمير نذر نفسه للقضية الثورية.. ولمع نجمه وترقى في القسوة والسلطان.. حتى أصبح رئيساً للحزب البلشفي.. واتخذ لنفسه اسم (لينين).. وقد أصبح فيما بعد الحاكم المطلق الأول لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.

تلقى لينين ثقافة جامعية.. وقام الطلاب اليهود بإقناعه أنه قد آن الأوان لقلب الطبقة الحاكمة لكي تباشر الجماهير حكم نفسها بنفسها.

ولمع نجم لينين كواحد من المثقفين المفكرين.. وارتبط بقادة الحزب الثوري حين كان في أوائل العقد الثالث من عمره.. وفي العام ١٨٩٥ سافر لينين إلى سويسرا ـ وكان عمره ٢٥ سنة ـ لملاقاة بليخانوف.. الذي فر من روسيا.

وفي سويسرا انضم لينين وبليخانوف.. الذين كانا من غير اليهود.. إلى فيرازاسوليتش و ب. أكسلرود ويوليوس تسديرباوم.. وكانوا كلهم من اليهود.. وألفوا جمعية ماركسية على نطاق عالميّ.. أسموها (جماعة تحرير العمال).

❖❖❖

أقنعت المحاولة الثورية المجهضة عام ١٩٠٥ لينين.. بأن الطريق الوحيد للقيام بثورة ناجحة.. هو تنظيم لجنة دولية تتولى الإعداد لتنفيذ الخطة التي يتفق عليها.. وهكذا أوجد لينين (الكومنترن) وهي اللجنة المركزية الدولية للتخطيط الثوري.

بعد ما قرّ رأي لينين حول سياسته الخاصة.. عاد إلى روسيا مع ماروتوف لتنظيم حملة التمويل.. التي تألفت من عمليات الابتزاز وسرقات المصارف وغيرها من الأعمال غير المشروعة.. واحتج لينين لذلك بأنه من المنطقي أن يأخذ أموال الناس الذين يخطط لقلب حكومتهم... وأصر لينين على أن يكون من برامج التدريب للمبتدئين في الحزب عمليات سرقات المصارف ونسف مخافر الشرطة وتصفية الخونة والجواسيس.

والحقيقة أن القادة القلائل الأوائل للشيوعية كانوا ينتمون إلي طبقة العمال.. وكان معظمهم من المثقفين ثقافة حسنة.. وفي عام ١٨٩٥ تسببوا بسلسلة من الاضطرابات.. تحوّل بعضها إلي أعمال شغب.. وهكذا أوجدوا واحدا من الأصول الأساسية في التخطيط الثوري (تطوير الحوادث الصغيرة حتى تصبح أعمال شغب.. والتسبب في إحداث مواجهة فعلية مباشرة بين الشعب والشرطة).

❖❖❖

ألقى القبض على لينين وماروتوف وعدد آخر من الثوريين وأرسلوا إلى السجن.. وأنهى لينين سجنه عام ١٨٩٧ وهكذا أخذ لينين معه زوجته اليهودية الشابة وأمها.. وذهبوا جميعاً إلى المنفى.. وخلال فترة المنفى.. اتفق لينين وماروتوف وبوتريسوف على أن ينشئوا صحيفة بعد منفاهم.. تكون جامعة لشتات المفكرين والطاقات العقلية في القوى الثورية.. التي كانت ما تزال منقسمة إلي أحزاب عديدة.

وبعد أن أنهى لينين فترة الحكم بالنفي في فبراير ١٩٠٠ وأنشأ صحيفة(الاسكرا[1] Iskra) كانت تعبر عن أفكاره الخاصة.. وكانت زوجة لينين سكرتيره مجلس تحريرها.. ولمدة من الزمن كانت تتم طباعة الجريدة في ميونخ بألمانيا.. وكانت نُسخ الجريدة تُهرب إلى روسيا وغيرها من البلدان بواسطة الشبكة السرية التابعة لماسونيي الشرق الأكبر.

ودعت الصحيفة إلى إنشاء مؤتمر لتوحيد الجماعات الماركسية المختلفة.. يكون مركزه في بروكسل عام ١٩٠٣ وتتمثل في هذا المؤتمر الديموقراطيون الاشتراكيون

(١) معناها بالروسية الشرارة.

من روسيا.. والديموقراطيون الاشتراكيون البولنديون التابعون لروزا لوكسمبورغ وجماعة تحرير العمل وجماعة (الماكسيماليين).. ولكن الشرطة البلجيكية اتخذت إجراءات مضادة.. مما دفع الأعضاء للتحرك إلى لندن.. ولهذا المؤتمر أهمية تاريخية.. فخلاله حدث الانشقاق العقائدي بين الكُتاب الذين يكتبون في (الشرارة).. وأصبح لينين زعيماً لمجموعة البولشفيك الذين كانوا يشكلون الأكثرية.. وأصبح ماروتوف زعيماً لمجموعة المنشفيك وكانوا الأقلية.

وقد قام المنشفيك بثورتهم عام ١٩٠٥ في روسيا.. بعد أحداث الأحد الدامي.. الذي ألقى اللوم فيها على القيصر.. ولكن الذين تحروا الحقائق وجدوا دلائل كافية على أن الحادث كان مخططاً له.. ومنفذاً من قبل الجماعات الإرهابية.. بهدف إثارة الغضب والحقد ضد القيصر بين جموع العمال غير اليهود.. وقد مكنت تلك الحادثة زعماء الحركة الثورية من الاعتماد على الألوف من الرجال والنساء من غير اليهود.. الذين كانوا حتى ذلك اليوم الحزين يدينون بالولاء للقيصر ويدعونه (الأب الصغير).

❖❖❖

في الثاني من يناير قامت بعض الاضطرابات العمالية في معامل بوتيلوف الضخمة في بطرسبرج.. ودعى للإضراب العام.. ولكن الأب جابون.. قال إنه سيحل المشاكل المعلقة بالتحدث مباشرة مع القيصر.. وفي يوم الأحد ٢٢ يناير نظم الأب جابون مسيرة سليمة كبيرة.. اشترك فيها الألوف من العمال مصحوبين بنسائهم وأطفالهم.. واتجهت المسيرة إلى أبواب القصر.. وبحسب التقارير الصحيحة كانت المسيرة منظمة ومنضبطة تماماً.. وكان المشتركون فيها يحملون لافتات كتب عليها عبارات الولاء للقيصر.. وعلى أبواب القصر.. وبدون أدنى إنذار.. انهالت زخات الرصاص من البنادق والرشاشات حاصدة العمال.. وناشرة الفوضى في المسيرة.. وذبح المئات من العمال مع عائلاتهم.. وتحولت الساحة أمام القصر إلى فوضى موجعة.. ومنذ ذلك اليوم يعرف هذا التاريخ (٢٢ يناير) بيوم الأحد الدامي.. هل كان نيقولا الثانى مسؤولاً.. الحقيقة الثابتة أنه لم يكن في القصر.. ولا حتى في المدينة في ذلك الوقت.. ومن المعلوم أن ضابطاً من ضباط الحرس

هو الذي أصدر أمر إطلاق النار إلى الجنود.. ومن المحتمل أن يكون هذا الضابط منفذاً لأوامر رؤسائه الإرهابيين.. وكان هذا العمل بمثابة الشرارة التي تدير المحرك.. وتلا ذلك وهج الثورة الشاملة.

بصرف النظر عمن كان المسئول.. فقد كانت النتيجة أن انضم عشرات الألوف من العمال الذين كانوا يدينون بالولاء للقيصر.. إلى الحزب الاشتراكي الثوري.. وامتدت الحركة إلى المدن الأخرى.. وحاول القيصر أن يكبت المد الثوري.. فأمر منذ مطلع فبراير بإجراء تحقيق في الحادثة على يد لجنة شيدلوفسكي.. وفي أغسطس أعلن أن الاستعدادات جارية لتشكيل مجلس تمثيلي تشريعي ديموقراطي.. وعُرِفَ هذا بعد تأسيسه بالدوما Duma.. وعرض أن يمنح عفوا شاملا لكل السجناء السياسيين.. وتحت مفعول هذا العفو.. عاد لينين وزعماء البلاشقة إلي روسيا في أكتوبر.. ولكن لم يستطع القيصر برغم كل ما فعله أن يلجم المد الثوري.

في العشرين من أكتوبر ١٩٠٥ أعلن اتحاد عمال السكك الحديدية الذي يسيطر عليه المنشفيك الإضراب العام.. وفي الخامس والعشرين من ذلك الشهر امتد الإضراب وشمل موسكو وسمولنسك وكيرسك وغيرها من البلدان.. وفي السادس والعشرين من الشهر تأسست حكومة بطرسبرج الثورية.. وكانت تلك الحكومة تحت سيطرة المنشفيك في حزب العمل الاشتراكي الديموقراطي الروسيّ.. مع أن الحزب الاشتراكي كان ممثلاً.. وكان أول رئيس له هو منشفيك سبوردفيسك. وقد تم إبداله بسرعة بجورجي نوسار. وهذا بدوره خُلع على يد تروتسكي الذي أصبح رئيساً اعتباراً من التاسع من ديسمبر ١٩٠٥ وفي السادس عشر من ديسمبر ألقت قوة عسكرية القبض على تروتسكي وعلى ٣٠٠ من أعضاء الحكومة الثورية.. ولم يكن بين الموقوفين بلشفيّ بارز واحد.

ولم تنته الثورة.. في العشرين من ديسمبر استولى يهودي اسمه بارفوس على السلطة في إدارة ثورية جديدة.. ودعا إلى إضراب عام في بطرسبرج.. فاستجاب لندائه ٩٠,٠٠٠ عامل.. وفي اليوم التالي أضرب ١٥٠,٠٠٠ عامل في موسكو.. وفي الثلاثين من ديسمبر

عادت بعض الوحدات وبعض الضباط الذين كانوا ما يزالون موالين للقيصر.. واستعادوا السلطة بأعجوبة.. وهكذا وضعوا حداً للثورة.. وحافظ القيصر نيقولا على وعده وتم إنشاء الدوما وانتخاب المجلس التشريعي.

❖❖❖

في عام ١٩٠٧ عُقد المؤتمر الخامس لحزب العمل الاشتراكي الديموقراطي الروسي في لندن.. ودعا هذا المؤتمر لدراسة ثورة ١٩٠٥ المجهضة.. وألقى لينين تبعة الفشل على انعدام التعاون بين المنشفيك وبقية الزعماء الثوريين.. ودعا إلى سياسة موحدة وإلى عمل موحد.

ورد ماروتوف الضربة للينين.. واتهمه بأنه قصر في تقديم المعونة المفروضة عليه لثورتهم.. واتهمه خاصة بحجز المعونة المالية عنهم.. وكان ما يثير الإزعاج لدى ماروتوف وغيره من الزعماء اليهود مثل ابراهاموفيتش وزورا لوكسمبورغ.. هو أن لينين قد استطاع تأمين المال اللازم لحضور هذا العدد الكبير من المندوبين في المؤتمر.. واتهموه بأنه يقوم بتمويل حزبه البلشفي عن طريق النهب والخطف والتزوير والسرقة.. ووبّخوه لرفضه أن يكتتب بجزء معتبر من أمواله المنهوبة لصالح منظمة الوحدة المركزية.

واتفق المؤتمرون في النهاية على وجوب إيجاد تعاون أوثق بين القادة الثوريين وقرروا اختيار من سيقوم بتحرير صحفهم.. وألقوا أهمية كبرى على الدعاية.. مع التشديد على أن كل ما ينشر في الصحف يجب أن يكون ضمن سياسة الصحيفة التي تلتزم بخط الحزب.

وفي العام ١٩٠٨ بدا البولشفيك إصدار صحيفتهم (البروليتاريا).. وأصدر المنشفيك (جولوس سوسيتال ديموقراطياً).. بينما أصدر تروتسكي مطبوعة شبه مستقلة سماها (فيينا برافده Vienna Pravda).

وفي العام ١٩٠٩.. حصل لينين على التأييد غير المشروط من زعيمين يهوديين.. هما زينوفييف وكامينيف.. وأصبحوا يعرفون (بالترويكا) أي الثلاثي.. واستمرت هذه الصداقة حتى وفاة لينين في عام ١٩٢٤.

❖❖❖

قرر لينين أن يختبر شجاعة ومدى إمكانية الوثوق بتلميذه الجديد ستالين.. وأراد أيضاً أن يُري القواد الآخرين في الحركات الأخرى أنه مستقل مالياً.. وللقيام بهذا العمل المزدوج كلف لينين ستالين بسرقة مصرف تيفليس.. واختار ستالين شريكاً له في تلك المهمة أرمنياً يدعي بترويان.. الذي أبدل اسمه فيما بعد فأصبح كامو.. وكمنا لعربة المصرف.. وقذفها بترويان بقنبلة فجّرت كل ما فيها.. ولم يبق صحيحاً إلا الصندوق المتين الذي يحوي ٢٥٠,٠٠٠ روبل.. وقتل في هذا الحادث ٣٠ شخصاً.. وهكذا أثبت ستالين قدرة قيادية كافية فيه.

❖❖❖

في نهاية ثورة ١٩٠٥ شرع القيصر نيقولا الثاني بإجراء إصلاح جذري.. وصمم على تحويل الملكية الروسية المطلقة إلى حكم ملكي دستوري على الطريقة الإنجليزية.. وبدأ مجلس الدوما بالعمل.. وكان رئيس الوزراء بيتر أو كاديفيتش ستولين أحد المصلحين الكبار.. وقد أصدر (قوانين ستوليين).. التي منحت الحقوق المدنية للفلاحين.. الذين كانوا يشكلون نسبة ٨٥٪ من مجموع الشعب الروسي.. وقد أدت إصلاحاته الزراعية إلى تأمين المعونات المالية الكافية للفلاحين.. بحيث أصبح بمستطاع الفلاح شراء أرضه بنفسه.. وكان اعتقاده يتجه إلى أنّ الوسيلة الوحيدة لمحاربة دعاة الطريقة الشيوعية في الحياة.. هي تشجيع فكرة الاستهلاك الفردي.

وكان هم الزعماء الثوريين هو الاستيلاء على السلطة.. ولم تكن تهمهم الإصلاحات في شيء.. وفي العام ١٩٠٦ حاولت جماعة إرهابية اغتيال ستولين.. فدمروا منزله بقنبلة.. وحيكت خطط عديدة للتخلص من رئيس الوزراء.. الذي لم يكن الشعب الروسي ليحلم بأفضل منه.. وفي ليلة مظلمة من ليالي سبتمبر عام ١٩١١ اغتيل أكبر وزير مصلح عرفته روسيا.. بينما كان يحضر عرضاً مسرحياً في مسرح كييف.. وكان القاتل محامياً يهودياً يدعي موردخاي بورغوف.

وقد حاولت الحكومة الروسية أن تطبّق إصلاحات ستولين بعد مقتله.. وفي عام ١٩١٢ أعطى قانونين تأمين العمال الصناعيين.. تعويضاً عن المرض وعن الحوادث..

بنسبة ثلثي المرتب العادي عن المرض وثلاثة أرباع عن الحوادث.. وأعطيت صحف الحركات الثورية صفة شرعية لأول مرة بعد إنشائها.. واتسعت المدارس الحكومية وامتدت.. وأعيد النظر في قوانين الانتخابات لتضمن انتخاباً أكثر حرية وأكثر تمثيلاً.. وفي العام ١٩١٣ منحت حكومة القيصر عفواً شاملاً لكل السجناء.. وفور إطلاقهم من السجن شرع هؤلاء في التآمر والتخطيط لقلب الحكومة الروسية. ودعا الإرهابيون إلى تصفية أفراد العائلة المالكة.. ولكن الإصلاحات كانت قد أقنعت الأكثرية الساحقة من الشعب الروسي.. وبدا في ذلك الوقت أن قضية الثورة أصبحت مسألة ميتة.. فركز الثوريون مجهوداتهم في بلدان أخرى.. وعلى وجه الخصوص في أسبانيا والبرتغال.

وأخذت أجهزة الدعاية الشيوعية تبث ضباباً أحمر.. ونظمت حملة مدروسة من التشهير في روسيا.. على غرار ما جرى في فرنسا وإنجلترا قبيل ثورتيهما.. وهكذا أصبح الإنسان العادي لا يتصور القياصرة والنبلاء الروس إلا وحوشاً ملتحين.. يستعبدون الفلاحين ويغتصبون نساءهم الشابات.. ويخترقون أجساد الأطفال برماحهم في أثناء نزهاتهم على ظهور الجياد عبر القرى.. ولكي تبرهن إن آخر القياصرة كان من المصلحين.. فسوف نستشهد بكلمات لبرترام وولف وقد كان ضد القيصرية ومع الثورة.. يقول وولف في الصفحة ٣٦٠ من كتابة (ثلاثة صنعوا ثورة بين ١٩٠٧ و ١٩١٤) وتحت قوانين ستولين للإصلاح الزراعي.. أصبح ٢ مليون من الفلاحين مالكين لأراضيهم في القرى.. وقد استمرت حركة الإصلاح تلك حتى في سني الحرب ١٩١٤ – ١٩١٧ وفي أول يناير ١٩١٦ بلغ عدد المنتفعين ٦ مليون ومائتي ألف فلاح.. ورأى لينين أنّه لو تأخرت الثورة عقدين من الزمان.. فستحول الإصلاحات الزراعية وجه الريف الروسي.. بحيث لا يعود قوة ثورية يعتمد عليها.. وقد كان لينين على حق.. فعندما دعا في العام ١٩١٧ الفلاحين (للاستيلاء على أراضيهم (كانوا هم قد ملكوا أكثر من ثلاثة أرباعها في ذلك الوقت).

❖❖❖

ومن سوء الحظ أن راسبوتين كان يمارس ضغوطاً شريرة على رجال ونساء البلاط الإمبراطوري.. وكانت الإمبراطورة واقعة بشكل كبير تحت تأثير راسبوتين.. فقد كان الوحيد الذى استطاع وقف النزيف الذي أصاب ابنها الصغير.

ويبدو واضحاً أن راسبوتين كان يتمتع بقوى نفسية مغناطيسية.. الأمر الذي كان شائعاً لدى فئة من الشعب الروسي.. وبدأ أنه استطاع أن يضع الإمبراطورة تحت سيطرته.. لجعلها تجبر القيصر على ما يريد راسبوتين أن يفعله.. فكان هو الذي يحكم روسيا.. الأمر الذي أدى إلى استياء الشعب الروسي.

ومن الثابت أيضاً أن راسبوتين أدخل إلى دوائر البلاط رجالاً ونساء كانوا يمارسون طقوساً وثنية.. مثل التي كانت تنفذ سرًا في البالية رويال قبيل اندلاع الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وكانت هذه الطقوس تستند إلى مبدإ تافه.. يقول أن الأرواح لا تنجو إلا إذا انحدرت إلى الدرك الأسفل في الخطيئة!.. وأدخل راسبوتين المخربين إلى البلاط الإمبراطوري.. مما مكنهم من الاطلاع على أسرار الشخصيات الكبيرة.. وبالتالي ابتزازهم وجرهم لفعل ما يأمرهم به رؤساء المخربين.

❖❖❖